كمال بحو ، محمد البالي

تجاذبات الهوية

الدلالات والتحديات

الهوية المغربية نموذجا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

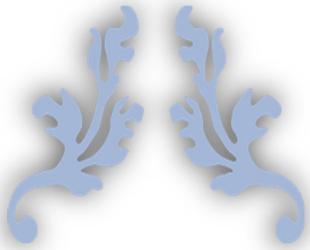

تقريرمفصل حول الجلسة الأولى من:

المؤتمر السنوي السادس لمركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية:

تجاذبات الهوية: الدلالات والتحديات

(الهوية المغربية نموذجا)

من إعداد الطالبين الباحثين:

كمال بحو

محمد البالي

24 صفر، 1439

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تقديم:

عُقد المؤتمر السنوي السادس لمركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية بوجدة، الذي يحمل عنوان: "تجاذبات الهوية: الدلالات والتحديات (الهوية المغربية أنموذجا)"، في يومي 21_22 صفر 1439هـ الموافق لـ 10_11 نونبر 2017م. وقد تضمن المؤتمر أربع جلسات علمية، شارك فيها عدة دكاترة من داخل المغرب وخارجه. تناولت الجلسة العلمية الأولى موضوع إشكالية المفاهيم والتمثلات وراهنيتها في الهوية، والجلسة العلمية الثانية تناولت إشكالية الهوية في أبعادها المجتمعية في المغرب، والجلسة الثالثة تناولت موضوع الهوية والمواطنة والمسألة الدستورية، أما الجلسة الرابعة والأخيرة فقد تناولت موضوع الهوية والعولمة ومجتمعات المعرفة وتكنولوجيا الاتصال، وخُتم المؤتمر بكلمة باسم الضيوف وقراءة للتوصيات. وفي هذه الورقات تقرير حول الجلسة العلمية الأولى.

تضمنت الجلسة العلمية الأولى، التي خُصصت لتكريم المفكر المغربي "محمد عابد الجابري"، أربع مداخلات: حملت المداخلة الأولى عنوان "الطوبونيميا: مجال توارد الهويات وتفاعلها"، وقد ألقاها الدكتور "الوافي نوحي" من مركز الدراسات التاريخية والبيئية بالمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية بالرباط. وحملت المداخلة الثانية عنوان "الهوية الأندلسية المغربية من خلال الأعمال الإبداعية (من الهوية الترحالية إلى الهوية الشمولية)"، وقد ألقاها الدكتور "أحمد الكْمون" من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة. والمداخلة الثالثة حملت عنوان "اللغة نظاما هوياتيا"، وقد ألقاها الدكتور "عبد الرحيم بودلال" من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة. أما المداخلة الرابعة والأخيرة فقد حملت عنوان "محمد عابد الجابري: الهوية وإعادة بناء الذات"، من إلقاء الدكتور "رشيد الإدريسي" الكاتب العام لمؤسسة محمد عابد الجابري للفكر والثقافة بالرباط. وخُتمت الجلسة بكلمة مؤسسة محمد عابد الجابري للفكر والثقافة بالرباط، مع تسليم درع المركز للسيد عصام عابد الجابري. وفيما يلي تقرير تفصيلي عن هذه المداخلات.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المداخلة الأولى:

تحدث الدكتور "الوافي نوحي" في هذه المداخلة عن موضوع علم الطوبونيميا وسياق ظهوره مع ذكر بعض العلوم المحاقلة له، ثم طرح الإشكالية التي سيعالجها في هذه المداخلة، وبعد ذلك حدد معنيين لمفهوم الطوبونيميا، وذكر بعض أنواعها مع تقديم بعض النماذج من هذه الأنواع، لينتقل بعد ذلك إلى تحديد أهداف هذا العلم وفوائده وقواعده، وختم المداخلة بتقديم بعض النماذج والأمثلة الطوبونيمية. وفيما يلي تفصيل لما أورده حول هذه النقاط.

التحدث عن الهوية هو تحدثٌ عن أمور فكرية وثقافية وتداخل الاختصاصات... لكن الدكتور "نوحي" اختار أن يتحدث عن جانب، ربما يكون مغيبا لحداثة الاهتمام به -حسب قوله-؛ هو موضوع الطوبونيميا.

وموضوع الطوبونيميا هو دراسة الأعلام المكانية؛ أي دراسة أسماء الأماكن ودلالاتها، وقد نشأ هذا العلم في أوروبا ووصل إلينا في العقود الأخيرة، ويُعتمد الآن من العلوم المساعدة للتاريخ، إلى جانب علوم أخرى (علم النقوش، وعلم الآثار...). والطوبونيميا فرع من علم الأنوماستيكا؛ فقد نشأ في أوروبا علم يسمى الأنوماستيكا -وهو ما ترجمته بعض المعاجم العربية بالأعلامية-، ويتفرع هذا العلم إلى فرعين كبيرين، هما: الطوبونيميا، والأنتروبونيميا. وإذا كانت الطوبونيميا تهتم بأسماء الأماكن -كما ذكرنا-، فإن الأنتروبونيميا تهتم بالأسماء البشرية أفرادا كانوا أو جماعات. ويندرج تحت الأنتروبونيميا علم الإثنومينيا؛ الذي يهتم بدراسة الأعراق أو المجموعات العرقية، كما يندرج تحت الطوبونيميا علم الإدرونيميا؛ الذي يدرس المجاري المائية. ويوما بعد يوم تتزايد تفريعات هذا العلم؛ لأنه حديثٌ، ولأنه يستأثر اهتمام كثير من الباحثين؛ لأهميته في معرفة كثير من مستغلقات بعض المصادر وبعض المضان العلمية.

بعد هذا التحديد لموضوع الطوبونيميا، انتقل الدكتور "نوحي" إلى طرح الإشكالية التي سيعالجها في مداخلته، وهي: دور الطوبونيميا في التعرف على بعض معالم الهوية؛ أي كيف يمكن لاسم المكان أن يدلنا على هوية؟ أو ما الذي يدلنا على هوية القاطنين أو المترددين أو الذين شهد هذا المكان نزولهم فيه؟

انطلق الدكتور في معالجته لهذه الإشكالية من تحديد معنى الطوبونيميا، وقد أورد لها في هذا السياق معنيين: الأول لغوي -حسب قوله-، والثاني اصطلاحي. فمصطلح الطوبونيميا في معناه الأول يهتم بدراسة الأعلام المكانية، وقد أشار الدكتور "نوحي" إلى الخلاف القائم بين المعاجم حول تسميته؛ فمنهم من يسميه

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأعلامية المكانية، ومنهم من يسميه العلمية المكانية، ومنهم من يسميه بالأماكنية... أما مصطلح الطوبونيميا في معناه الثاني؛ فهو العلم الذي يهتم بدراسة مجموعة من الأماكن في زمن ما، سواءٌ كُتبت بلغة واحدة أو بلغات متعددة مركبة؛ مثل: الطوبونيميا العربية، والطوبونيميا الأمازيغية، والطوبونيميا اللاتينية... ونقول أيضا نسبة إلى المجال: الطوبونيميا الصحراوية، والطوبونيميا الجبلية... ومن أنواع الطوبونيميا أيضا الطوبونيميا الطوبوغرافية، وطوبونيميا مصادر المياه، و طوبونيميا الحيوانات والطيور، والطوبونيميا المختزلة لظواهر الطقس والأجرام السماوية... ونجد أيضا الطوبونيميا أحادية اللغة، والمتداخلة، والمشتركة بين اللغات، والمحافظة على لغتها الأصلية في لغات أخرى، والمركبة...

بعد تحديد مفهوم الطوبونيميا وذكر بعض أنواعها، انتقل الدكتور"نوحي" إلى تقديم بعض النماذج من هذه الأنواع. فأعلام الأماكن -عنده- تُعتبر نسقا شاهدا على ارتباط الإنسان بمحيطه الطبيعي، ومن هنا تظهر أهميتها التي لا تُنكر، فهي تجسيد لمدى الارتباط القائم بين الإنسان ومحيطه الطبيعي بين كل منطقة وما يسبقها وما يليها من البلاد، وبهذا تكون هذه الأعلام مفتاحا للتاريخ الجهوي والمحلي ومجالا يجسد توارد الهويات وتفاعلها؛ فاسم مكان واحد -مثلا- نجده يعبر عن النوع البشري الذي توارد عن هذا المكان؛ مثلا: (عين أسردون) اسم مكان نصفه عربي (عين) ونصفه الثاني أمازيغي (أسردون) التي تعني (بغل)، ويتساءل الدكتور قائلا: فلماذا لم يُقل: (ثيط أوسردون) بالأمازيغية فقط، أو (عين البغل) بالعربية فقط؟ ومن وجهة نظره أن اسما مركبا من لغتين يدل على أن هناك تمازجا أو تجاورا بين هويتين أو لغتين على الأقل. ومن ذلك أيضا (بير إينزارَن)؛ الاسم الأول عربي يعني (بئر)، والثاني أمازيغي يعني (الأمطار)، ويقصد بهذا العَلَم المركب البئر التي تُملأ بالأمطار. ويوجد عدد كبير من هذه الطوبونيميا التي تتركب من اللغتين، مثل: بير بندوز، وبني ملال، وعين تاوجطات، وواد أمليل... وهذا ما لا ينبغي أن نمر عليه ببساطة؛ لأننا نجد طوبونيميا عربية خالصة لها تحليلها الخاص وتقديرها، والأخرى الأمازيغية كذلك، لكن هذه الطوبونيميا المركبة يجب الوقوف عندها. وقد تتوارد في أسماء الأماكن لغات ثلاث؛ مثل الاسم الأمازيغي (أغبال أو أغبالة) الذي يدل على عين الماء، ولما جاء العرب، فسألوا عن أسماء الأماكن، قيل لهم: (أغبال) هي عين ماء، فسموها (عين أغبال)، ولما جاء الفرنسيون، وأرادوا أن يضعوا الخرائط الطوبوغرافية، قيل لهم: (عين أغبال)، فكُتبت في الخرائط -إلى الآن-: (La source de l'ain aghbal)؛ فهذه ثلاث كلمات يراد بها في المحصلة معنى واحد. ولا ينبغي أن تمرَّ هذه الأمثلة على الباحث ببساطة، إذ أننا عندما نسمع (La source de l'ain aghbal) تتوارد في مخيلتنا أن هناك ثلاثة أقوام أو ثلاث لغات تواردت على هذا المكان، وكل لغة بصمته بمفردتها.

وبعد تقديم هذه الأمثلة الطوبونيمية، أعرب الدكتور "نوحي" عن ابتغائه الوصولَ إلى أن البحث في الطوبونيميا لا بد أن تكون له أهداف علمية كبيرة جدا، ذكر منها: تحصيل المعرفة الإنسانية، وتحصيل المعرفة بالمحيط الطبيعي

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والاجتماعي والثقافي من خلال دراسة هذه الأعلام ودلالاتها اللغوية والتاريخية المباشرة والمواكبة.

والأعلام ليست شيئا اعتباطيا -حسب قوله-، بل هي من منظور المهتمين بالطوبونيميا تعبيرٌ عن نظرة واضعيها إلى العالم؛ فالذي يضع اسم المكان يضعه بناء على معطيات تعبر عن نظرته للعالم والمحيط والمجال. وعادةً ما تسمى الأسماء من الخارج؛ فالذين سموا المغرب مغربا هم المشارقة؛ لأنه يأتيهم من جهة مغرب الشمس، ونحن نسمي المشرق مشرقا؛ لأنه يأتينا من مشرق الشمس، ولا أحد منا يختار اسمه، بل يسميه الآخرون.

ويعقب الدكتور"نوحي" بذهابه إلى أن هذا التداخل في أسماء الأماكن له بُعدٌ علمي كبير، فهو نسق شاهد على المجتمعات البشرية وارتباطها بالمحيط؛ فالأسماء التي يوشَم بها هذا المجال تعبر في مجموعها عن هوية متملكي هذا المجال، ليس بالعقود والوثائق فقط، لكن بالثقافة والحضارة التي أفرزت شبكة الأسماء المتحكمة في تقسيمه وتنظيمه، فالإنسان يوشِم منطقةً باسم من لغته وثقافته وحضارته كما يوشِم الحيوان منطقته ليدل على سيطرته فيها، وربما تناهى هذا الاسم إلى الآخرين ليعلموا أن هذا من ملك فلان أو من مجاله.

ينتقل الدكتور "نوحي" -بعد حديثه عن بعض الأهداف العلمية لعلم الطوبونيميا- إلى ذكر فوائد البحث في هذا العلم؛ فهو يمكِّننا من إحياء الذاكرة الجماعية والهوية الثقافية؛ لأن أسماء الأماكن تعبر عن تملُّكِ المكان بفضل تنظيمه بنسيج من التسميات المعبرة عن تصور مُسمِّيها للعالم، ويمكننا أيضا من الاحتفاظ ببنيات لغوية ومواد معجمية قديمة، فاللسانيون المشتغلون على الأمازيغية -الآن- يعدون معجما يراد به أن يكون عاما للغة الأمازيغية، فيعودون إلى المصادر الوسيطية والمصادر القديمة قبل الإسلام ويرون كيف كانت تُكتب أسماء هذه الأماكن، هل بنفس الطريقة التي ننطقها نحن الآن، أم وقع تغيير في نحو الأمازيغية أو صرفها أو تراكيبها اللغوية، كما يمكِّننا هذا العلم أيضا من رسم الجغرافية القديمة المتعلقة بالتنوع اللغوي والحقول الطبيعية.

أما القواعد الكبرى للبحث في الطوبونيميا -عند "نوحي"-، فقد حددها في أربعة قواعد: أولها تتمثل في استحضار كل الألسن المتداولَة في المجال وتملّكِها والبقاءُ على اتصال بالعارفين في المجال اللساني واللغوي لتحديد القواعد. وثانيها تتمثل في تحصيل الصيغة الأصلية من كيفية نطق الأهالي بها، فلا يكفي أن تقرأ اسم علم جغرافي في كتاب ما فتنطقه كيفما اتفق، بل لا بد من أن تسمعه من الناطقين باللسان الذي أنتج هذا العَلم. وثالثها متمثِّلةٌ في العودة إلى المؤرخين لتحديد تاريخ ظهور الاسم وتطوره والتغييرات التي طرأت عليه؛ فكثير من الأسماء تُغيَّر بإسقاط حرف أو إثباته، كإثبات الألف في أسماء الأماكن في الصنهاجية والمصمودية (أسفي، وأكادير)، وإسقاطها في المجال الزناتي (بركان؛ وأصلها أبركان، وصفرو؛ وأصلها أصفرو)، كما أن هناك حروفا تُنطق في المصمودية والصنهاجية لاما وتُبدل راءً في الزناتية (إسلمان وإسرمان؛ وتعني السمك). أما القاعدة الرابعة والأخيرة، فتتمثل في العودة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إلى الباحث الاجتماعي الذي يمكن أن يوقفنا على علاقة هذا الاسم بهجرة وترحال الناس الذين يمتلكون هذا المجال.

بناءً على هذا -الذي سبق-، اتخذ الدكتور "نوحي" بعض النماذج من المغرب الأقصى حيزا مجاليا لهذه المساهمة، وبالضبط في الجنوب المغربي، لاحتكاكه به، ولاستحالة وقوفه على كل نماذج الوطن، وقد صنفها كما يلي:

1- الأعلام المكانية الأمازيغية:

وهي الغالب الأعم، خاصة في البوادي والمدن العتيقة (تارودانت، تيزنيت، إنزكّان)، وهي أعلام خرجت مكوناتها المعجمية من التداول اليومي المحلي، فلا نعرف أنها أمازيغية إلا بما نلاحظ من خضوعها لقواعد اللغة الأمازيغية، وقد وجدها الدكتور على صنفين:

ا- أعلام قد تكون عربية فتمزّغت صيغتها.

ب- أعلام قد تكون أمازيغية فتعربت صيغتها؛ مثل: (طنجة، وسبتة، ووجدة)، فهذه أعلام أمازيغية وليست عربية، لكن أضيفت إليها التاء لإضفاء صيغة العربية عليها بحسن نية الذين أضافوها، لكن هذه التاء تشوش على العالم في معنى العَلم؛ فطنجة أصلها (تينكّي)، وتعني المدينة العالية، ومنه يتبين أن إضافة التاء وتحويل الكّاف إلى جيم أفسد كل شيء.

وقد أكد الدكتور على ضرورة الوعي بالمتغيرات التي تدخل على الأعلام الأمازيغية من الصيغة العربية، وعلى الأعلام العربية من الصيغة الأمازيغية.

2- الأعلام المكانية العربية:

وهي قليلة بالمقارنة مع سابقتها، تنتشر في أماكن استقرار القبائل العربية؛ فالقبائل العربية وفدت على المغرب في موجات كثيرة في عصر الموحدين، التي استقدمها بنو هلال وبنو سليم وبنو معقِل وبنو حسان... ولما تستقر قبيلة عربية في موطن أمازيغي يحدث هناك تبادل بحكم المجاورة، فنجد صيغا أمازيغية تعربت وأخرى عربية تمزّغت، حتى في لغتهم اليومية.

3- الأعلام التي تحيل على هوية عرقية أو ذات علاقة بالانتماء:

ومن أمثلتها:

(القصبةْ إمازيغن)؛ ولما نسمع اسم هذا المكان نعلم أن له هوية معينة لفئة من المجتمع تسكن هذه القصبة أو الدوار.

(العين إسوقين)؛ أي عين السود.

(لمدينث إسمغان)؛ أي مدينة العبيد.

(أدوار نواعرابن)؛ أي دوار العرب.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

4- الأعلام التي تحيل على التنظيمات السياسية في المنطقة:

ومن أمثلتها:

(تكْمي وْ كْليذ)؛ أي دار السلطان.

(ثاسغارث إنفلاس)؛ أي حق الأمناء.

(أنو نلجماعث)؛ أي بئر الجماعة.

5- الأعلام التي تحيل على الثقافة الحربية والدفاعية عند أهل الجنوب المغربي:

ومن أمثلتها:

(إيغير نوشذار)؛ أي منكب الموقع الدفاعي.

(أكْادير أوفلّا)؛ أي حصن أوفلّا.

6- الأعلام التي تعبّر عن نمط العيش عند السكان:

وهي أعلام تحيل على التغذية واللباس والفراش والعادات الاحتفالية، ومن أمثلتها:

(سيدي بوهيضور)؛ أي سيدي صاحب الحصير.

(ثاركْانت نتسلاثين)؛ أي أركْان العرائس.

7- الأعلام ذات الحمولة الدينية:

ومن أمثلتها:

(إيت سيدي عبد الله).

(سيدي امحمد بن حسين).

(إكْين لمصلى)؛ أي فوق المصلى.

(بوزكّا)؛ أي صاحب الزكاة.

(بو رمضان)؛ أي صاحب رمضان.

(تيزي نلحجاج)؛ أي المنطقة التي كان يمر منها الحجاج.

8- الأعلام ذات الحمولة الدينية والتصوفية:

ومن أمثلتها:

(إيبد العالم)

(الباب ندلفقيه)؛ أي باب الفقيه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(آيت الطالب).

(تِمزكّادِوين)؛ أي المساجد.

(زاوشت إيفقيرن)؛ أي زاوية المتصوفين.

9- الأعلام ذات الحمولة الاعتقادية:

ومن أمثلتها:

(سيدي بينزار)؛ وهو سيد يستسقى به.

(إفري وّوجّو)؛ وهو كهف يستشفى به.

(مغارةْ لجواد)؛ أي مغارة الأرواح والجن.

10- الأعلام التي تحيل على العلاقة مع اليهود والنصارى:

ومن أمثلتها:

(تونا نووذاين)؛ أي آبار اليهود.

(لمدينت وّوذاين)؛ مقبرة اليهود.

(لمدينت إروميّن)؛ أي مقبرة النصارى، وربما الرومان.

وفي الختام تمنى الدكتور "نوحي" أن يكون قد بين أهمية البحث في الطوبونيميا؛ لأنها خزان لذاكرة الشعوب ومرآة لهويتها التاريخية. وأشار إلى أن البحث فيها -سواء في الجنوب المغربي أو غيره- تكتنفه صعوبات ومشاكل كثيرة، لذا لا بد أن يتسلح الإنسان بمعرفة لغوية وتاريخية واجتماعية، وأن تكون له علاقة مع كل الناس الذين يعملون في هذه التخصصات، حتى تكون قراءته للأعلام المكانية قراءة سليمة، وذلك بالاستناد إلى المتداول بين الناطقين، ثم الاستعانة بخبرات اللسانيين واللغويين وغيرهم من أصحاب العلوم المساعدة، حتى يتمكن الإنسان من استخراج الهوية التاريخية. كما أحال إلى بعض المراجع التي يمكن الاستئناس بها في الطوبونيميا، أهمها: كتاب التشوف إلى رجال التصوف من تحقيق الأستاذ أحمد التوفيق، وكتب المرحوم علي صدقي.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المداخلة الثانية:

تحدث الدكتور "أحمد الكْمون" في هذه المداخلة عن الهوية الأندلسية المغربية من خلال الأعمال الإبداعية، فأشار إلى تعدد مكونات روافد الهوية المغربية، ثم انتقد المتعاملين مع المكون الأندلسي بوصفه أرشيفا يعودون إليه في وقت الأزمات فقط، كما دعا إلى توخي الحيطة والحذر في التعامل مع هذا المكون. وقد تعامل الدكتور مع هذا المكون من خلال الفن، متخذا كتابات المفكر المغربي "حسن أوريد" نماذج للانتقال من الهوية الترحالية إلى الهوية الشمولية، وهذا ما بينه الدكتور من خلال تناوله لثلاثة أنواع إبداعية، هي: الرواية، والشعر، وكتاب الرحلة.

بعد تقديم الأستاذ الكْمون كلمةَ الشكر، اقترح على الحاضرين موضوعَ القراءة في المكون الأندلسي، وذلك بالرجوع إلى دستور 2011، الذي يَعتبر المكون الأندلسي رافدا من الروافد المهمة في الهوية المغربية. فعندما نرجع إلى التصدير نجد أن هناك مكونات أخرى وروافد أخرى إلى جانب هذا المكون الأندلسي، مما يعطي للهوية مفهوما متعددا، ويشبّه الدكتور "الكْمون" الهويةَ بجسم الإنسان الذي يتكون من مجموعة من الأعضاء، لكن هذه الأعضاء إذا لم تحرك تصاب بالشلل، وكذلك مكونات الهوية إذا لم تحرَّك تصاب بالشلل أو تموت، وقد اتخذ الأستاذ المكون الأندلسي نموذجا ليرى كيفية تعاملنا -نحن المغاربة- مع هذا الموروث.

وفي هذا السياق انتقد الدكتور المتعاملين مع هذا الموروث؛ لأنهم يتعاملون معه كأرشيف، أو كذاكرة يعودون إليها في أوقات الأزمات، فيقولون إن هناك أندلسا أولى وثانية وثالثة؛ وبالتالي فإن لنا هوية أندلسية، أو يكتفون بأن يقولوا إن لدينا الطرب الأندلسي والعمارة الأندلسية وشيء من الطبخ الأندلسي؛ وبالتالي فإن لدينا هوية أندلسية، أو يقومون بتحقيق كتاب شعر أندلسي أو كتاب من النوازل الأندلسية فيقولون بأننا نخدم التراث أندلسي. وهذا -في نظر الدكتور- خطأ؛ لأن الهوية الأندلسية نتقاسمها مع هويات أخرى تتقاطع معها، وهذه الهويات الأخرى التي تشتبك مع الهوية الأندلسية لم تبق منفردة، وإنما تعمل في هذا الجانب الأندلسي، بل إن هناك من يتبنى المكون الأندلسي لصالحه؛ وهم أقوام لا هوية لهم، فتبنوا المكون الأندلسي وبدأوا يطلقون عليه أحكاما لا تكون صحيحة في أغلب أحوالها، وهذا يشكل خطرا، لذا دعا الدكتور إلى وجوب أخذ الحذر والحيطة، ومن هؤلاء الأقوام المشارقةُ والإسبان؛ فالمشارقة يذهبون إلى أن الأندلس نشأت من الشام، ويعتبرون كل ما هو أندلسي بضاعتَهم. والإسبان يذهبون إلى أنها حضارة قوطية ولاتينية، وعندما دخل المسلمون أصبحت مسلمة وتعربت، لكنها عادت إلى ما كانت عليه حسب حد قولهم. ولهذا ألحّ الدكتور "الكْمون" على التعامل مع هذا الموروث الأندلسي بحذر؛ فالخطاب السياسي ينظر إليه نظرةً ساكنة، والبحث العلمي يتعامل معه كأرشيف، كما أن هذا الموروث

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لم يدخل إلى النظام المدرسي، ولم يدخل في الحياة اليومية حتى نشعر بأن لنا موروثا أندلسيا.

وقد حاول الدكتور أن يأخذ نموذجا للتعامل مع هذا الموروث الأندلسي من خلال عملية الإبداع؛ لأن الإبداع علم الشعوب كما يقال. ولهذا اختار نموذجا مغربيا هو الكاتب والصحفي والمفكر "حسن أوريد" -بوصفه كاتبا تعامل مع الموروث الأندلسي- من خلال كتاباته، وانفتاحُ "أوريد" على هذا الموروث أحدث لديه نُقلةً عن مفهوم الهوية بالنسبة إليه، لهذا سمى الدكتور "الكْمون" هذا الموضوع بالهوية الترحالية؛ فحسن أوريد سيرحل بنا بدايةً من الهوية العرقية، ثم سينتقل إلى الهوية القطرية، ثم سيأتي بعد ذلك إلى ما يعتقد أنه الهويةُ الكونية؛ وهي العلمانية، ليصل في الأخير إلى الهوية الشمولية أو الائتلافية.

وقد اختار الدكتور "الكْنون" من كتابات "أوريد" ثلاثة نماذج، هي:

1- نموذج من الرواية؛ وهي "الموريسكي".
2- نموذج من الشعر؛ هو "زفرة الموريسكي".
3- نموذج من الرحلة؛ هو "رواء مكة".

وفي كل كتاب من هذه الكتب نلمس تدرجا وانتقالا في الهويات حسب الأستاذ الكْمون. وفيما يلي تفصيل لذلك:

النموذج الأول: الرواية

استلهم المفكر "حسن أوريد" مادة هذه رواية "الموريسكي" مما كتبه أحد الموريسكيين الذين طُردوا من الأندلس بعد سقوط غرناطة؛ وهو "شهاب الدين أحمد بن القاسم الحجري الأندلسي"، وقد استعمل "أوريد" اسم "شهاب الدين" شخصيةً في رواية الموريسكي، ولم يستغل كل المواد الموجودة في كتاب "شهاب الدين"، فقد أخذ مسائل أخرى وثائقية مما كتبه الإسبان عن الموريسكيين، فخلق هذا العالَمَ الروائيَّ من هذا الكتاب، كما استقى "أوريد" -أيضا- معلومات أخرى من بعض النصوص الإسبانية.

هذا الكتاب يطرح مشكلة الهوية بامتياز؛ فالموريسكي "شهاب الدين" أتى إلى المغرب بهوية عقائدية؛ حيث استلهمته الثقافة العربية الإسلامية، ولما التقى بشخص أمازيغي تقاسم معه هموم الغربة والإقصاء. وهذا يعطينا فكرة عن صراع الهويات الذي كان في المجتمع المغربي؛ فالموريسكي وجد نفسه أمام هويتين متصارعتين تفتخر كل واحدة منهما على الأخرى، ولذلك عنْونَ الدكتور "الكْمون" هذا الصراع بالهوية المنفصمة.

النموذج الثاني: الشعر

يتماهى "أوريد" في قصيدة "زفرة الموريسكي" مع الهوية الحزينة للموريسكيين، وهنا نجده ينتقل من الهوية في مفهومها العرقي الأمازيغي لتبني قضية

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إنسانية هي قضية الموريسكيين، فخرج من شرنقة الهوية الضيقة العرقية إلى الهوية القطرية.

النموذج الثالث: الرحلة

جاء كتاب "رواء مكة" بعد حج "أوريد" ورجوعه إلى الأندلس واستقراره فيها، حيث تسنت له فرصة قراءة الفن الأندلسي، وبهذا الفن انتقل من الهوية القطرية العلمانية إلى الهوية الشمولية، ففي الفن الأندلسي شيء مهم هو اجتماع الثنائية وتزاوجها. وهو يرى أن هذه الحضارة تجمع بين العقل والروح، وهذا فهم يعزّ على القوالب الغربية؛ لأن الإسلام يرى التكاملَ في كل ما قد يظهر متناقضا، وبهذا التكامل وصل "حسن أوريد" إلى الهوية الائتلافية، والأندلس نموذج للهوية الائتلافية. فكانت رحلة "أوريد" في هذا الكتاب من الهوية الضيقة إلى الهوية الائتلافية.

وفي الختام، قارن الدكتور "الكمون" بين الرحلة الأوريدية والرحلة الإبراهيمية؛ فرؤية سيدنا إبراهيم عليه السلام للكوكب وعدم إيمانه به تُقابلها رؤية "حسن أوريد" للهوية العرقية، ورؤية سيدنا إبراهيم عليه السلام للقمر تُقابلها الهوية القطرية عند "أوريد"، ورؤية سيدنا إبراهيم عليه السلام للشمس تقابلها رؤية "أوريد" للعلمانية، وإسلام سيدنا إبراهيم عليه السلام تقابله الهوية الشمولية عند "أوريد"؛ وهي الإسلام.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المداخلة الثالثة:

تحدث الدكتور "عبد الرحيم بودلال" في هذه المداخلة عن اللغة بوصفها نظاما هوياتيا، فبدأ بطرح إشكاليته التي سيعالجها، وانتقل بعد ذلك ليورد أقوال بعض المفكرين الغربيين، ثم سلّط الضوء على نقطتين أساسيتين متواجدتين في كل اللغات تقريبا، هما: الفصاحة، وبُعدَيْ اللغات (الصوري والاجتماعي)، وختم الدكتور مداخلته بتقديم مجموعة من التساؤلات والأفكار؛ منها ما هو متعلق بالهوية في علاقتها بالمجتمع، ومنها ما هو متعلق بالصوت في علاقته بالهوية، ومنها ما هو مرتبط بالخصائص المشتركة بين اللغات والخصائص الخاصة بلغة ما.

بعد تقديم الدكتور "بودلال" كلمةَ الشكر، انتقل من الحديث عن النماذج -كما رأينا في المداخلتين السابقتين- إلى الحديث عن اللغة بصفة عامة، فتحدث عن بعض الأصول العامة التي تحكم هذا الأمر في علاقته باللغة والهوية. وقد طرح الأستاذ هذا العنوان في شكل تساؤل (اللغة نظاما هوياتيا)، لأنه سيحاول أن يجيب -في هذه المداخلة- عن هذا السؤال بشكل غير مباشر، انطلاقا من نصوص اعتمدها. والسؤال الذي طرحه بشكل عام هو: كيف مورست الهوية من خلال اللغة؟ فالهوية -من خلال تعاريفها- تمثل الجانب الروحي، ولابد أن تظهر في لبوس أو في شكل من الأشكال، ولعل أهم لبوس هو اللغة. فكيف مورست هذه الهوية من خلال اللغة؟

أشار الدكتور "بودلال" إلى أن المقصود باللغة في العنوان هو اللغة بصفة عامة ولسيت لغة معينة، لأنه يعتبرها في نظامها -والنظام هنا كذلك بمعناه العام- تحمل شكلا هوياتيا؛ أي أنه لا توجد لغة دون أن تحمل في طياتها هوية ما.

وقد بدأ الدكتور -في معالجته لهذا الطرح- بمجموعة من الأقوال لمجموعة من المفكرين من خارج الدائرة الإسلامية، وهم في معظمهم غربيون، في مقدمتهم الألماني "كريخت" الذي قال: "إن الحدود الطبيعية الأولى والأصلية للدول بشكل دقيق هي من دون شك حدودها الداخلية، ويجمع أولئك الذين يتكلمون اللغة نفسها عددا كبيرا من الروابط الخفية، نسجتها الطبيعة منذ عهد بعيد... انطلاقا من هذا الحاجز الداخلي للغة الذي رسمته طبيعة الإنسان الروحية ذاتها يبقى تحديدُ الحاجز الخارجي الذي نتحدث عنه كثيرا من خلال ما كان من استقراء تحصيلَ حاصل"، هذا الفيلسوف الألماني ـ في نظر الدكتور "بودلال"- مهّد للموضوع، وكان يمثل التيار الرومانسي بشكل كبير، فتحدث عن العلاقة بين المشترك في قوم ما واللغة، ليفسح المجال بعد ذلك لهتلر ليعتبر اللغةَ الألمانية لغةً جامعة للجنس الألماني، وفي هذا السياق يقول هتلر: "كل ما هو جرماني لابد أن ينْظمَّ إلى ألمانيا". وقد أشار الدكتور إلى وجود حضور في هذا الأمر في مجموعة من الأقوال التي ترى أن الإنسان كان منذ البداية يبحث عن مرآة يمكن أن يجد فيها صورة هويته المشتتة.

وبعد هذه القولة أورد الدكتور مجموعة من الأقوال الأخرى، هي:

قولة "جون جوزيف": "لقد جمعت وجرى فهمها أخيرا وهو يعثر على غذاء بحث كهذا في اللغة".

وقولة سيدنا علي رضي الله عنه: "الرجال صناديق مغلقة مفاتيحها الكلام".

ويقال بأن "هيغل" كان يردد دائما أننا نفكر داخل الكلمات.

وكان "ميرلو بونتي" يعتبر أن لحظةَ التفكير الصامتةَ عبارةٌ عن ضجيج من الكلمات.

المبدأ العام لهذه الأقوال حسب الدكتور "بودلال" هو أن الوجود كامن في اللغة، وأن كينونة الإنسان هي لغته، ولذلك قيل -وهذا ردده "هايديغر" كثيرا-: "إن لغتي هي مسكني وموطني ومستقري".

بعد هذه الأقوال تحدث الدكتور عن "ستالين" الذي كان يقول دائما: "إن اللغة هي إحدى الوقائع الاجتماعية الفاعلة والمؤثرة في سياق الوجود الاجتماعي وديمومته كلها".

وفي نظر الدكتور "بودلال" أن الدكتور "محمد عابد الجابري" لم يجد ملاذا أكثر من الملاذ اللغوي حينما أراد العبور إلى بنية الفكر العربي، معتبرا العربيَّ صانعا لهذا الفكر لما حمله من أبعاد لغوية، ويقول الدكتور "محمد عابد الجابري" في هذا السياق: "ثمة معطياتٌ كثيرة يمكن أن تبرر إعطاء الأولوية للغة العربية في دراسة مكونات العقل العربي"، ثم ينتهي إلى تعريف لهذا العربي بقوله: "فالعربي حيوان فصيح"؛ فبالفصاحة تتحدد ماهية العربي وليس بالعقل فقط.

هذا الأمر جعل الدكتور "بودلال" يتحدث عن نقطتين أساسيتين كامنتين -تقريبا- في جل اللغات؛ النقطة الأولى هي أن اللغة عندما تريد أن تعبر عن الهوية فلابد أن تبحث عن الفصيح فيها، وقد اتخذ الدكتور الفصاحة عند الغربيين وكيفية تكون لغاتهم المحلية نماذج عن هذا الأمر؛ لأن دراسة الفصاحة في اللغة العربية أمر معروف. هذه الفصاحة بدأت عند الغربيين منذ عهد قديم مع دانتي حين اعتبر أن المدخل اللغوي لإيطاليا هو الجانب الذي يجب أن نعبر من خلاله إلى هوية إيطاليا؛ فكان أن كتب الكوميديا بالعامية إيمانا منه أنها الوسيلة المعبرة عن الهوية الإيطالية، ولكن دانتي لم يتحدث عن أي لغة، بل قال إنه كان يبحث عن اللهجة الفصيحة، وبذلك يمكن أن نقول بأن "دانتي" بحث عن تفصيح العاميات من أجل إحياء القوميات والإثنيات والهويات في أوروبا. وبعده سارت ألمانيا على هذا النهج، وإن كانت تعتبر أن اللغة في أصلها جرماني، ولكن عندما أرادت أن تؤسس للغة الألمانية بحثت عن العامية الأفصح في ألمانيا، فجعلت منها اللغة الألمانية. ثم تبعتها في ذلك فرنسا، واعتمدت على المنهج نفسه فاختارت لغة من العامية الفصيحة. وإسبانيا كذلك اختارت اللغة الإسبانية القريبة من اللغة القشتالية.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهكذا أصبح تفصيح العاميات المدخل للبحث عن الإثنيات والقوميات في الثقافة الغربية، ومن هنا أصبحت كل لغة أوروبية تعبر عن هوية الشعب الذي تنتمي إليه. هذا بالنسبة لأوروبا، أما بالنسبة للثقافة الإسلامية فالأمر عكس ذلك تماما؛ لأنه كانت هناك لغات، فاعتمد العرب على تجميع الفصاحة من هذه اللغات المنتشرة.

لذلك فالجابري عندما أراد أن يتحدث عن الفصيح، وعندما عرّف العربي بأنه إنسان فصيح، بحث عن هذا الأمر في الفصاحة وجرّده، وتحدث عنه كما تحدث عنه القدماء؛ فربط بين الفصاحة والسليقة والعروبة ليجمع -في الأخير- شتات هذا الموضوع. وأصبحت الفصاحة بهذا المعنى تعبيرا عن الهوية، ولذلك ليس غريبا -عندما نتحدث في الثقافة الإسلامية- أن نقول بأن ثقافتنا مرتبطة أساسا بالفصاحة، فهذا الأمر بحث فيها الغرب وأرادوا أن يفصحوا العامية؛ لأن الفصاحة تجمع -تقريبا- أشتات مجموعة من الهويات.

أما النقطة الثانية التي أراد الدكتور أن يثيرها فهي أن البعد الاجتماعي في اللغة هو المسؤول أساسا عن تنظيم هذه القضية، أو هو المعبّر الأساسي عن الهوية في اللغة. ولذلك اعتمد الدكتور على التعاريف التي ترى أن اللغة ظاهرة اجتماعية؛ بمعنى أنها لا تقف عند التعبير أو التصوير أو التفكير فقط، بل إنها جامعة لهموم الشعب الذي يتكلمها، لهذا اعتمد على تعريف ابن جني للغة -الذي يظن أن التعاريف الأخرى لم تتجاوزه- حينما قال: "أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"؛ بمعنى أن اللغة أصوات وأغراض، والغريب عند الدكتور هو تعريف ابن فارس للمادة اللغوية (غ ر ض)، فقد ذهب إلى أن هذه المادة لا تُسمع على قياس معروف؛ بمعنى أن قضية الغرض عند ابن جني لا حدود لها، وهذا يناسب تعريف اللغة عندما تكون معبرة؛ فاللغة لا حدود لها في التعبير، إذ أنها تعبر عن الإنسان في جانبه الوجداني والفكري... ولذلك يقولون: إن أهم ما اكتشفه الإنسان هو اللغة.

إن تعريف ابن جني يحيل إلى شيئين أساسيين، هما:

الأول: الجانب الصوري للغة، وذلك بقوله: "اللغة أصوات".

الثاني: الجانب الاجتماعي للغة، وذلك بقوله: "عن أغراضهم".

لذلك فأي لغة، كيفما كان نوعها، تتكون من نظام يمكن أن نقول عنه: إنه نظام صوري، وتتكون كذلك من بعد يؤدى بهذا النظام؛ هو البعد الاجتماعي الذي من خلاله تمارس اللغة وظيفتها الأساسية؛ بمعنى أنها تحقق أغراض المجتمع. والهوية عند الدكتور "بودلال" أهمُّ أغراض هذا المجتمع، ولابد أن تمارس من خلال اللغة. والسؤال الذي طرحه الدكتور في سياق هذا الأمر هو: كيف يمكن لنا البحث عن الهوية من خلال هذين البعدين (الصوري والاجتماعي)؟

لقد بحث الفكر اللغوي عموما في هذين الأمرين، فعلم أصول الفقه وفقه اللغة في الثقافة الإسلامية يتحدثان عن الجانب الاجتماعي للغة بشكل أساسي، وما تؤديه اللغة من أغراض، سواء في الجانب الشرعي أو الجانب التعاملي. أما البحث في

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الجانب الصوري فهو بحث في الجانب النحوي في معناه العام (الأصوات، الصرف، الإعراب)؛ فالنحاة مارسوا هذا الأمر إيمانا منهم أنهم يتحدثون عن نظام صوري للغة، هذا النظام سيكون الشكل أو الوعاء الذي تضع فيه أيةُ ثقافة -والثقافة العربية أساسا- هويتَها الأصلية، فكانت النتيجة أن وُجد نظامٌ صوري في اللغة العربية أو غيرها من اللغات، ولذلك نقول في بعض الأحيان بأن اللغات لها نظام صوري واحد، وفي بعض الأحيان نجد بعض اللغويين يشتركون في هذا الأمر، ومع ذلك فمهما كان النقاش -سواء كان هناك نظام صوري واحد أو مختلف- فلا بد من وجود اختلاف، فرغم دعوة التوليدية إلى النظام الصوري الواحد إلا أنها دعت في نفس الوقت إلى الأنحاء الخاصة، ويذهب الدكتور "بودلال" إلى أن الأنحاء الخاصة عند التوليديين ماهي إلا اعتراف باللغات الخاصة بنظامها الصوري؛ بمعنى أن هذه اللغة لا بد أن تتخذ شكلا معينا للتعبير عن ذاتها وثقافة شعبها وهويتها... فاللغات مهما اتحدت في أنظمتها الصورية فلا شك أنها ستختلف حتما في التعبير عن هوياتها، ولذلك نجد بعض الاختلافات -حتى وإن كانت جزئية- قد تتوحد في بعض اللغات المشتركة؛ مثل اللغات الأوروبية التي تدعي أنها تُمثل وحدةً من حيث التصور، فلا شك أن هناك اختلافا بين لغاتها في بعض الأشكال، ولذلك نجد بعض الهويات داخل هذا المجتمع الذي يقول أنه متحد، وبهذا كانت اللغة دائما هي اللبوس.

وقد أشار الدكتور إلى أن الحديث عن النظام الاجتماعي فيه كلام طويل؛ لأن مدرسة كبيرة نشأت منذ عهد قديم تتحدث عن البعد الاجتماعي للغة، بل إن شعوبا عُرفت من خلال لغاتها كما يقولون، وبحثوا في أصل مجموعة من الشعوب من خلال لغاتها. ومن هذا كله نستنتج أن هذا النظام الاجتماعي نظام أساسي كامن في هذه اللغة التي تعبر عن هذا المجتمع.

بعد أن تحدث الدكتور عن الجانب الصوري والاجتماعي في اللغة، تحدث عن نقطة أساسية؛ هي الحديث عن الهوية والجماعة. فبطبيعة الحال عندما نتحدث عن الهوية وعلاقتها بالجماعة فإننا سنجد مجموعة من السمات الجوهرية التي تجعل الجماعة في انسجام، لأن تميزها عن غيرها من الجماعات يكون بهذه الهوية أو الخاصيات والملامح التي تتكون منها؛ فالهوية بهذا المعنى مكون من مكونات الشخصية التي تشكل الجماعة، ولذلك تُمثّل هذا الجانب؛ فنقول مثلا: إن الهوية العربية هي مجموع الخصائص المميزة لهذه الشخصية.

وأشار الدكتور أيضا إلى فكرتين أساسيتين اتجه إليهما البحث اللغوي حديثا، والبحث فيهما يحتاج إلى المزيد، هما:

أولا: كيف يُعبّر الصوت عن الهوية؛ فصوت اللغة له دلالة، ولذلك ظهرت مجموعة من البحوث تتحدث عن الصوت من خلال السلوك الجسماني للإنسان باعتباره رمزا خارجيا لأفكار داخلية؛ بمعنى أن الصوت تعبير عن أفكار داخلية، ولذلك فعندما تختلف اللغات في أصواتها فإنها تختلف في دواخلها أيضا كما يقولون.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

ثانيا: هي أننا عندما نعود إلى الثقافة الإسلامية نرى أن القدماء -على رأسهم "الشاطبي"- اعترفوا بوجود خصائص مشتركة بين اللغات، واعترفوا في نفس الوقت بوجود خصائص خاصة لكل لغة، فقد أتاح "الشاطبي" لخصائص اللغة العربية في ألفاظها العامة إمكانيةَ اشتراكها في مجموعة من اللغات، ولكن عندما تدخل هذه اللغة في دلالات خاصة فإن هويتها ستكون خاصة بهذه الثقافة الإسلامية.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المداخلة الرابعة:

تحدث الدكتور "رشيد الإدريسي" في هذه المداخلة عن الهوية وإعادة بناء الذات عند "محمد عابد الجابري"، فاستهل حديثه بضرورة أخذ مسألة الوطن بعين الاعتبار في سياق الحديث عن الهوية، ثم حدد المنطلق المنهجي للجابري، وتحدث عن ضرورة استحضار السياقات لفهم فكرة الهوية عند الجابري، ثم انتقل بعد ذلك إلى التحدث عن خاصية الانفتاح مع ذكر بعض من تأثر بفكرهم، لينتقل بعد ذلك إلى تدرج مفهوم الهوية عند الجابري والتسميات التي سماها بها، وأشار إلى أن حضور الهوية كان قويا في كتاباته الأخيرة، وختم الدكتور مداخلته بالنقطة المتعلقة بالعودة إلى الذات وإعادة بناء الذات، وفيما يلي تفصيل لأهم ما ورد حول هذه النقاط.

ذكر الدكتور رشيد الإدريسي في بداية مداخلته خطورة مفهوم الهوية وأهميته، واعتبرها (أي الهوية) سببا من أسباب انفجار المجتمعات إذا ما عوملت معاملة مرتجلة بشيء من التسرع، لذلك فنزع فتيل الهوية يجب أن يكون من طرف المثقفين الذين لا تحكمهم مصالح شخصية وخلفيات ضيقة؛ بل تحكمهم بالدرجة الأولى مصلحة الوطن.

لذلك كان المنطلق المنهجي الأساسي عند "محمد عابد الجابري" طرحَ الأفكار في مراحل تاريخية مختلفة؛ وتنبع ضرورة ذلك من لزوم طرح قضايا الفكر العربي في سياقات مختلفة داخل مراحل التاريخ وتحيينها (Actualisation)؛ أي ربطها بالسياق الجديد ومعالجتها من خلال أسئلة جديدة لم تطرح فيما سبق.

من خلال هذه الإشارة؛ يتحدث الدكتور الإدريسي عن التصورات المختلفة باختلاف السياقات، فالجابري كان دائما يستحضر مفهوم الهوية بشكل مباشر أو غير مباشر، إما بتسميتها الرسمية أو بتسميات أخرى تتقاطع معها، فكتاب "أضواء على مشكل التعليم في المغرب"؛ هو موضوع هوياتي من الدرجة الأولى، وقد وقف فيه الجابري عند المبادئ الأربعة المتمثلة في التوحيد والتعليم والتعريب ومغربة الأطر، وطرْحُ مشكل الهوية يشمل حياة الجابري كلها؛ فقد ختم حياته بكتاب عن الهوية لم يتمه.

ومن خصائص تصور الجابري -رحمه الله- للهوية نذكر:

خاصية الانفتاح؛ أي أنه يتحدث عن هوية منفتحة حتى يدفع أي تأويل يمكن أن يرد في ذهن المتلقي، وتحدث هنا عن الثقافة الوطنية التي تناقض مفهوم الثقافة الاستعمارية؛ وخصائص هذه الثقافة الاستعمارية عند الجابري تتمثل في نوع من

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التسلط الحضاري وطمس التراث والشخصية وإشاعة الروح القبلية ومحاربة اللغة الوطنية وكل ما يعبر عنه بروح الشعب.

ولا يذكر الجابري أصل كلمة "روح الشعب"، ولكن من خلال الرجوع إلى المفهوم، يتبين لنا أن الجابري قد تأثر بفكر الألماني "هردل كوتفريد"، فاستحضار فكرة روح الشعب تنسجم مع السياق الذي ناقش فيه الجابري فكرة الثقافة الوطنية، و"هردل" كان يحكمه تصور توحيد الشعوب الجرمانية، وكان له موقف من الثقافة الفرنسية، فحذر من أتباع الكلاسيكية الفرنسية، ووصى بالتأسي بكتابات "شكسبير" وغيره من الأدباء إذا ما أراد الألمان أن يتقدموا. والجابري طرح فكرة الروح والشعب والثقافة الوطنية؛ من أجل أن يواجه الفكر الاستعماري والتفرقة والتجزئة الكائنة بالمغرب.

كما تأثر أيضا بفكر "فرونس فالو" صاحب كتاب (معذبو الأرض) ففي هذا الكتاب نجد فصلا يتحدث عن الكثير من الأشياء التي يتقاطع معه فيها الجابري. وتأثر أيضا برئيس غينيا "محمد سيكوتوري".

وسيعود الجابري إلى مفهوم الهوية في مراحل تالية في كتابه "المغرب المعاصر: الخصوصية والهوية والحداثة والتنمية"؛ ليعيد فيه طرح فكرة الهوية من زاوية تاريخية سوسيولوجية على وجه الخصوص، وفي فصل من هذا الكتاب -يحمل عنوان "يقظة الوعي العروبي في المغرب"- مساهمة في نقد السوسيولوجية الاستعمارية في المغرب. وفي هذه المحطة نجد غيابا لفكرة الثقافة الوطنية وحضورا لفكرة الهوية بشكل واضح وصريح؛ بالتركيز على حالة المغرب على وجه الخصوص.

وقد استعمل الجابري تسميات أخرى للهوية، منها: الوعي بالذات، استقلال الذات، الخصوصية، الأصالة، التراث، إعادة بناء الذات... وهذه التسميات استعملها في مراحله الأولى، وفي المراحل الموالية فكر في الهوية مباشرة بشكل أكثر تفصيلا. وهنا ظهرت الهوية بقوة؛ لأسباب ترتبط بظرفية دولية تتعلق بانهيار جدار برلين وتفكك المعسكر الشرقي، بالإضافة إلى حدث ثقافي أساسي يرتبط بصدور كتاب "ساموبل هنتنكطون" المعنون بـ "صراع الحضارات"؛ فقد أتى ساموبل بفكرة جديدة هي جعلُ الهوية بمثابة مفتاح لفهم الكثير من الأحداث السياسية، وفي هذا الكتاب يمكن أن تطرح الحضارات كمرادف للهوية أو الثقافة.

وذكر الدكتور الإدريسي أن الجابري دشن نقاشا جديدا في هذه المرحلة، وطرح الهوية بشكل مباشر مرة أخرى، ولكنه فتحها على البعد الكوني، وفي هذه النقطة ركز على علاقة الهوية بالعولمة، والتقاء الهوية والعولمة بالنسبة للجابري تتم انطلاقا من تعريفه للعولمة؛ بوصفها تجارة لا تؤمن بالحدود، أو بتعبيره هي بمثابة النشاط الحيوي للرأسمال، وبما أن الرأسمال لا وطن له؛ فإن العولمة عند الجابري بمثابة نفي للوطن، وبالتالي نفي للهوية التي مجالها الوطن.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وسيرا على هذه الخطى، يعتبر الجابري العولمة إيديولوجية تعبر عن إرادة الهيمنة على العالم، وهو ما لا يتحقق إلا بنفي الآخر ونفي هويته، والعولمة بوصفها إيديولوجية أيضا -بالنسبة له- تعمل على إيقاظ الإثنيات والانتماءات السابقة على الدولة (العرق، التصور الانغلاقي حول اللغات، الإقليمية الضيقة...).

وقد ختم الدكتور "الإدريسي" مداخلته بالنقطة المتعلقة بالعودة إلى الذات؛ فالجابري -عنده- يميز بين شيئين: العودة إلى الذات، وإعادة بناء الذات، وهذا الشيء الثاني -إعادة بناء الذات- بالنسبة له يجسد العمليات التي يتحدث عنها في قراءة التراث؛ أي الرحلة إلى التراث وقراءته في سياقه، ثم العملُ على قراءته مع الأخذ بعين الاعتبار الأسئلة الراهنة والخروج بتصور يمكن الاستفادة منه. فإعادة بناء الذات إذا تجسد كل العمليات التي تحدث عنها، بينما مجرد العودة إلى الذات لا يمكن أن تَنتج عنه نهضة كما يقول؛ لأن فيه معنى الاستنساخ فقط.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المداخلة الختامية:

خُتمت هذه الجلسة الأولى من المؤتمر السنوي السادس بمركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية بوجدة بكلمة مؤسسة محمد عابد الجابري للفكر والثقافة بالرباط، ألقاها السيد "عصام عابد الجابري" الذي تسلم درع المركز المهدى إلى المؤسسة.

بعد تقديم عصام عابد الجابري كلمة الشكر، أشار إلى ضرورة التخلي عن الدراسة الإيديولوجية والتحلي بالدراسة الإبستيمولوجية لتحليل كتابات القدماء؛ كي يتسنى لنا قراءة التاريخ قراءة صحيحة. فعمل الجابري في كتاباته مقاوَمة للعولمة التي تسعى إلى إفراغ هوية الشعوب من محيطها.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الفهرس

تقديم.....1

المداخلة الأولى: الطوبونيميا: مجال توارد الهويات وتفاعلها.....2

المداخلة الثانية: الهوية الأندلسية المغربية من خلال الأعمال الإبداعية (من الهوية الترحالية إلى الهوية الشمولية) 8

المداخلة الثالثة: اللغة نظاما هوياتيا.....11

المداخلة الرابعة: محمد عابد الجابري (الهوية وإعادة بناء الذات) 16

المداخلة الختامية.....19

الفهرس.....20

هذا الكتاب منشور في